الفصل الثاني

الأساس العقدي للثروة البشرية

يستند الأساس العقدى للثروة البشرية ، إلى الثوابت اليقينية التالية :

أولاً: أن الله ﷻ خلق البشر وذرياتهم ، يخلق ما يشاء .. ويذهب منها ما يشاء ويستخلف منها ما أراد، حيث قال سبحانه وتعالى:

● ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[الشورى: ٤٩].

● ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[النحل: ٤]

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[النحل: ٧٢].

● ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤].

● ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾[الأنعام: ١٣٣]

ثانياً: كرم الله ﷻ الإنسان وفضله على كثير ممن خلق .. حيث قال:

● ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

ثالثاً: علم الله سبحانه وتعالى الإنسان ، فمنذ الوهلة الأولى في خلق الإنسان، علم الله سيدنا آدم الأسماء كلها ، وتحدى به الملائكة ، الذين أقروا على أنفسهم بالعجز في مواجهته . وتتابعت رحمة الله ﷻ بعباده ، فعلمهم على أيدي الأنبياء ومن بعثهم من الصالحين ، أصول الصناعات الأساسية ، التى لا تتحقق نهضة بسواها ، فقال تبارك اسمه:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٣١].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله «وعلم آدم الأسماء» قال: علم الله آدم الأسماء

كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعرف بها الناس. إنسان، ودابة، وأرض، وبحر، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها[1].

وقال سبحانه وتعالى:

● ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾[الرحمن: ١-٤]

وعلم الله ﷻ البشرية صناعة الدروع بعد أن ألان الحديد على يد سيدنا داود وأشار الله ﷻ إلى الإتقان في الأداء ، وجاء ذلك في قول الله سبحانه وتعالى :

● ﴿.....وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٧٩-٨٠].

لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم: هي دروع الحديد، فداود عليه السلام أول من صنعها.

من بأسكم: من رتع ـ وقع ـ السلاح فيكم .

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[سبأ: ١٠-١١].

السرد: المسامير التي في الحلق ـ على قول قتاده في الدر المنثور

ويبين هذا النص أهمية الدقة في تقدير المسافات المقدرة لدق المسامير، في إشارة معجزة إلى الإتقان .

وفي سورة الكهف أبرز الله ﷻ نعمته فيما أقامه ذو القرنين كأول درع إنشائي متمثل في سد دفاعي، حيث جاء في قول الله سبحانه وتعالى :

● ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[الكهف: ٩٤-٩٦].

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى –الدر المنثور في التفسير المأثور – الجزء الأول – دار الفكر – طبعة ٩٣ – صفحة ١٢١

زبر الحديد: قطع الحديد .

بين الصدفين: بين رأس الجبلين .

قطرا: النحاس[1].

رابعاً: الله ﷻ تكفل للإنسان برزقه ، بعد أن يؤدى ما يطيقه من عمله وسعيه، فقال سبحانه جل شأنه:

● ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[هود: ٦].

● ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[الذاريات: ٢٢-٢٣].

خامساً: حرصاً على القيمة العالية للكيان الإنساني ، حذر القرآن من توهم الأثر السلبي للسكان على التنمية على نحو ما يراه الاقتصاد الوضعي الآن، فالرزق أمره موكول لمشيئة الله وحده، ولا رازق سواه، والإنسان هو صانع الحضارة والتنمية والرخاء، وليس فقط هو المستهلك الذي يرى فيه الاقتصاد الوضعي أن لو تم إنقاص عدده، لأكل القليل رزق الكثير ..!

وقد جاء التنبيه إلى الحذر من الربط العكسي بين السكان والموارد في أكثر من نص مبارك، أحدهما :

يطمئن الأباء على رزق ذرياتهم .. فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٣١].

وعلى الطرف الآخر ، يطمئن الله ﷻ الآباء على مستقبل رزقهم بعد إنجابهم .. فيقول سبحانه جل شأنه :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى – المرجع السابق – المجلد الخامس – مطبعة دار الفكر – صفحة ٤٣٥

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام: ١٥١]

ومما يلفت الانتباه في سياق هذه الآيات، أن الله تكفل بالرزق للآباء مع أولادهم مره، وقدم حق الأولاد في الرزق مره أخرى، و لعل الحكمة من وراء ذلك، هى التأكيد على العلاقة الطرديه ـ وليست العكسية ـ بين الموارد والسكان.

وفى الحديث :

عَنْ أَبِي وائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ سَأَلْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ قَالَ: «الشِّرْكُ أَنْ تَجْعَلَ للَّهِ نِدًّا وَأَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ الْفَقْرِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ»[1].

سادساً: جعل الله ﷻ النسل .. زينة في الحياة الدنيا .. فقال:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[الكهف: ٤٦].

سابعاً: الإيمان بأن الله وحده جل شأنه الخالق المحيى المميت، لا يدع حقا لبشر في التخلص من بشر آخر بالقتل، ولا حق له في قتل نفسه .. فقد قال الله ﷻ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ٩٢].

---

١) رواه النسائى بحديث مرفوع متصل فى كتاب تحريم الدم – باب ذكر أعظم الذنوب

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٩٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[النساء: ٢٩-٣٠].

وفي الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا هِيَ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّه وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[1].

ثامناً: الخلق نعمة من الله تستوجب حمد الله ﷻ وشكره، حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ٧٨].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
[المؤمنون: ٧٨]

---

١) رواه النسائي في كتاب الوصايا – باب اجتناب أكل مال اليتيم – بحديث مرفوع متصل

النتائج المترتبة على

الأسس العقدية للموارد البشرية

أولاً: صعوبة الربط بين التطور الكمي في عدد البشر، والتطور النوعي الذي قد يحققه تفوق البعض منهم ، فقد «يولد أشخاص من حين لآخر وهبتهم الطبيعة قوى مدهشة نادرة كسرعة إدراك الأشياء المجهولة ، والخيال الذي ابتدع عوالم جديدة، والقدرة على اكتشاف العلاقات الخفية الموجودة بين ظواهر معينة»[1].

ووفق قانون الأعداد الكبيرة كما هو معروف فى علم الإحصاء .. فإن نسبة المخترعين والمبدعين والمكتشفين ، تزيد عادة مع نمو الكتلة السكانية ، فالبلاد التى بها كثافة سكانية عالية .. عادة ما تكون نسبة المبدعين فيها أعلى من البلاد ذات الكثافة السكانية الأقل .. هذا ما لم تنزح الدول الغنية المخترعين والمبتكرين والأفذاذ من الدول الفقيرة على نحو ما هو قائم الآن.

وبفضل الله ﷻ على الإنسانية بمثل هؤلاء الأفذاذ «استطاعت الابتكارات العلمية والتكنولوجية في الزراعة أن تتخطى كثيرا من التكهنات المتشائمة الماضية حول عجز الموارد التي تؤثر في رفاهية الإنسان»[2].

ثانياً: خارج الأسباب الصحية والوقائية .. فإن مصادرة حق الجنس البشرى في الحياة من خلال أساليب تحديد النسل المعاصرة ، والتى تستهدف فقط الحد من الاستهلاك ، كحل متوهم للأزمة الاقتصادية ، يتنافى مع اليقين الإيماني لدى المسلم بأن الله سبحانه وتعالى تكفل بالرزق ، وقد جاء في حديث عن :

عنْ أبي سعيد ﷺ قال: قال رسُولُ اللّه ﷺ في الْعَزْلِ: «أَنْت تخْلُقهُ أنْتَ ترْزُقُهُ أقَرَّهُ قرارهُ فإنَما ذلكَ الْقدَرُ»[3].

وفى حديث آخر :

عنْ أنس بن مالك ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: إنّ اللّه وكّل بالرّحم ملكا يقولُ يا ربّ نُطْفةٌ يا ربّ علقةٌ يا ربّ مُضْغةٌ فإذا أراد أنْ يقْضي خلقهُ قال: أذكرٌ أمْ أنْثى شقيٌ أمْ سعيدٌ فما الرّزْقُ والأجلُ فيكْتبُ في بطْن أمّه»[4].

---

١) سير/ روي كالن – ترجمة : ليلى الجبالي – عالم يفيض بسكانه – عالم المعرفة – ربيع الأخر ١٤١٧هـ – سبتمبر/أيلول ١٩٩٦ م – ص٦١.

تعبير وهبتهم الطبيعة مادى وضعى لا يتفق مع التوجه الإسلامى لأن الله ﷻ هو الخالق الواهب.

٢) سير/ روي كالن – المرجع السابق – ص ٦٢.

٣) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب باقى مسند المكثرين – باب مسند أبى سعيد الخدرى.

٤) صحيح البخاري – كتاب الحيض – باب قول الله ﷻ مخلقة وغير مخلقة.

وفى حديث ثالث:

عَنْ سَلاَّمِ بْنِ شُرَحْبِيل أَبِي شُرَحْبِيل عنْ حبَّة وَسَوَاءِ ابْنَيْ خَالِدٍ قَالا دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُعَالِجُ شَيْئًا فَأَعَنَّاهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «لا تَيْئَسا منْ الرِّزْقِ مَا تَهَزَّزَتْ رُءُوسُكُمَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ تَلِدُهُ أُمُّهُ أَحْمَرَ لَيْس عَلَيْهِ قِشْرٌ ثُمَّ يَرْزُقُهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ»[1].

ثالثاً: الثقة في أن زيادة السكان لا تمثل تشاؤما اقتصاديا وليست عبئا على التنمية ـ على نحو ما ذهب إليه مالتوس ـ واليقين في أن الرزق موفور للذرية بشرط إحسان توجيه وتربية وإدارة مواردها، وتوازن النظرة إلى السكان باعتبارهم عنصراً إنتاجياً مؤثراً، ورفض اقتصار النظرة إليهم كعنصر استهلاكي فقط.

وتجدر الإشارة إلى أن أصابع الاتهام بالترويج المغرض للرأسمالية قد رفعها بعض العلماء في وجه مالتس، متهما إياه بالإيعاز بأن مشكلة الفقر أمراً قدرياً يرجع إلى زيادة السكان عن الموارد «ففي تقييم مذهب مالتس يقال انه كان يخدم مصالح أولئك الذين ـ برغم ما حققوا من أرباح طائلة نتيجة نمو الرأسمالية ـ تعرضوا للهجوم بسبب سوء حالة فريق كبير من العمال الأجراء. فقد تقدم مالتس بالدفاع اللازم عندما أعلن أن شقاء الإنسان يرجع إلى إغفال أحد القوانين الطبيعية، وان تجاهل هذا القانون لن يحقق أية منفعة اجتماعية في ظل أى نظام اجتماعي[2].

وهكذا جعل مالتوس الفقر أمرا قدريا حتى لا يتبرم العمال من ظلم أصحاب الأعمال لهم.

رابعاً: أثبت التاريخ الاقتصادي المعاصر ، فشل نبوءات مالتس حول أزمة المجاعة المتوقعة نتيجة زيادة معدلات البشر بأعلى من زيادة معدلات الموارد، حيث شهد العالم «زيادات كبيرة في موارد الغذاء . سواء عن طريق استغلال مساحات شاسعة من الأراضي في مختلف أرجاء العالم . أو زيادة الإنتاجية الزراعية بفضل التقدم العلمي والتكنولوجى منذ الوقت الذي كتب فيه مالتس. ومما أخذ على مالتس أن استخدامه باستمرار للنسب الحسابية والهندسية غير موفق. فقد ظل حتى النهاية يستخدم الاختلاف بين نسبة هندسية للسكان. ونسبة حسابية للعيش . ليوضح فكرته عن أن المعدل المحتمل لنمو السكان، أسرع من معدل نمو العيش»[3] وقد أثبت التاريخ الإحصائي أن العلاقة بين النسبة الحسابية للسكان والموارد اختلفت تماما عما توقعه مالتس.

---

١) حديث مرفوع متصل رواه ابن ماجة فى كتاب الزهد – باب التوكل واليقين

٢،٣) الدكتور/ راشد البراوى – المرجع السابق – ص ١٠٥-١٠٦

خامساً: الاقتصاد الوضعي حدد عوامل الإنتاج بأنها تشمل:

رأس المال ـ الموارد الطبيعية ـ العمل ـ التنظيم

ورأس المال في حقيقته عبارة عن عمل مدخر ، فإذا أضيف إليه عنصرا العمل والتنظيم ، فإنه يمكن القول بأن ثلاثة أرباع عوامل الإنتاج تعتمد على الجنس البشرى ، فالإنسان هو الدافع والمحرك والمستثمر للموارد البشرية ، وليس عبئا عليها ، كما يرى بعض مفكري الاقتصاد الوضعي، الذين انحسرت أبصارهم عند حدود التعامل مع الإنسان كمستهلك فقط.

وإن كانت العبرة بالموارد المستغلة ، والإنسان هو الذى يحقق هذا الاستثمار والاستغلال، فمعنى ذلك أن الإنسان إن تواجد تواجد معه القدرة على الاستثمار ، ومن ناحية أخرى بغير إنسان أى بغير سكان لا استثمار ولا موارد مستغلة .

«فالكون بلا إنسان خال من الموارد، لأن الموارد مقترنة بالإنسان وحاجاته، فكأن عناصر البيئة الطبيعية المختلفة ليست بموارد، ولا تصبح موارد إلا إذا سخرت لخدمة الإنسان وسد حاجاته. فالفحم ـ مثلاً ـ لا يمكن أن تعتبر موردا إلا عندما يبدأ الإنسان في استخراجه واستخدامه كقوة محركة. ولذلك لا يمكن أن تعتبر البيئة حاوية لموارد إلا إذا درست في ضوء علاقتها بالإنسان، أو بمعنى آخر في ضوء استشعار الإنسان لعناصرها المختلفة وتحويلها إلى موارد اقتصادية، وعليه فإن الموارد فكرة نسبية. وتعتبر الموارد محصلة التفاعل بين الإنسان والبيئة»[1].

ولإبراز التفاعل بين الموارد الاقتصادية ودور الجهد الإنساني في تحقيق الانتفاع منها ذكره الله ﷻ في أكثر من موضع من كتابه الكريم ، حيث قال:

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[يس: ٣٤-٣٥]

وقال تبارك اسمه:

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[النحل: ٦٧].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[الواقعة: ٦٣-٦٤]

سادساً: يعتبر سوء توزيع السكان على خريطة الكرة الأرضية، مسئولاً عن الإحساس

---

١) سير روي كالن – المرجع السابق – ص١٧

الخاطئ بمشكلة الزحام كأحد جوانب الأزمة، حيث «أن نحو نصف العالم يعيشون فوق ٥٪ فقط من مساحة اليابس، بينما لا يعيش فوق ٥٧٪ من مساحة الأرض سوى ٥٪ من مجموع سكان العالم.

ومن جهة أخرى فإن معدلات النمو السكاني في المدن تزيد عليها في الريف، على الرغم من أن معدلات الزيادة الطبيعية في المدن تقل عنها في الريف، ويرجع ذلك إلى تيارات الهجرة المتدفقة من الريف إلى الحضر، وهي ظاهرة عالمية تظهر بشكل واضح في البلاد النامية بصفة خاصة، ولذلك فإن نسبة سكان الحضر ترتفع باستمرار على حساب نسبة سكان الريف، ففي عام ١٩٧٠ كانت نسبة الحضر ٣٧٪ من مجموع سكان العالم، ارتفعت في الوقت الحاضر إلى ٤٣٪ ومن المتوقع أن تزيد على ٥٠٪ قبيل عام ٢٠١٠م[1].

سابعاً: إن خاصية التكاثر النوعي للكائنات والموارد الاقتصادية تثبت عكس ما توقعه مالتس ، حيث إن الموارد .. شأنها شأن البشر خلقها الله ﷻ من زوجين، حيث قال:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الذاريات: ٤٩]

وترتب تلك الخاصية وفرة متوقعة بمعدلات نوعية تفوق معدلات الزيادة البشرية.

وقد أشير إلى تلك الخاصية حين الحديث عن الأسس العقدية للوفرة.

والخلاصة أنه لا توجد علاقة عكسية بين الموارد والسكان ، وإنما الأمرعكس ذلك .

---

١) سير روي كالن – المرجع سابق – ص ٢٢، ٢٣